الفصل الثالث

التنجيم اليوم، ظاهرة استعصائه على الموت، وعوامل استمراره

إن المتتبع لوضع التنجيم في عصرنا الحاضر يقضي العجب من شدة انتشاره بين الناس وغزوه لمختلف طبقات المجتمعات البشرية في كامل الكرة الأرضية، لم يشذ عن ذلك عالم إسلامي ولا مسيحي، ولا صيني ولا هندي. . .

وسأحاول في هذه الصفحات القليلة أن أكشف عن بعض مظاهر هذا الانتشار، خصوصا بلغة الأرقام، أبلغ لغة بشرية، وأن أقدم ما تحصل لدي من الأسباب التي يمكن أن نعلل بها هذا الانتشار المهول. .

وعندي أن هذه الصفحات مجرد تنبيه على الموضوع الذي يحتاج إلى بحث مستقل يستعان فيه بعلوم الدين والنفس والأنثروبولوجيا الثقافية، وبالدراسات الموضوعة حول الوضع النفسي والعقلي والاجتماعي العام لإنسان القرنين العشرين والواحد والعشرين. . عل ذلك يصل بنا إلى نظرية تفسر لنا مسألة الانتشار الواسع للتنجيم في البشرية المعاصرة.

مظاهر انتشار التنجيم من خلال بعض الأرقام:

لنأخذ مهد العقلانية الديكارتية نموذجا لهذا الانتشار. لقد كان في باريس وحدها ـ سنة ١٩٣٥ ـ حوالي ٣٤٦٠ مكتبا للتنجيم وقراءة الكف، ونحو ذلك من فنون التنبؤ. وكان المعدل العام للرسائل التي يتلقاها منجم مشهور حوالي خمسة آلاف رسالة كل يوم[١].

(١) L'astrologie, p 106. Quelques sciences captivantes, p 233.

وفي سنتي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ بين استطلاعان للرأي العام سعة انتشار التنجيم بين الفرنسيين، فالذين يعرفون برجهم الخاص، ويقرأون بين الفينة والأخرى طالعهم الفلكي بالصحف أو يسمعونه بالمذياع، ويعتقدون أن جانبا من الصدق والحقيقة يوجد فيما ينسبه التنجيم من خصائص وطبائع إلى الأبراج. . .الذين يحققون هذه الشروط الثلاثة يشكلون ثلث الشعب الفرنسي: ٣٠٪ . ويجد القارئ في الصورة ٢ ملخصا لنتائج هذين البحثين. ولعله سيلاحظ أن النساء أكثر ميلا إلى الاعتقاد في التنجيم من الرجال، والشباب أكثر من الكهول، وسكان المدن أكثر من القرويين. وفي المهنيين يأتي العمال والمستخدمون على رأس قارئي الطالع الفلكي، بنسبة ٧٢٪، ثم التجار بنسبة ٥٧٪[١].

ثم أوضح استطلاع آخر قامت به مؤسسة سوفر سنة ١٩٨١ ـ لصالح أسبوعية «الأمسيات الطيبة» ـ نمو هذا الاهتمام بالتنجيم، فالذين يطلعون ـ باستمرار أو بصفة متقطعة ـ على طوالعهم يشكلون ٣٢٪ من السكان. و٩٠٪ من الفرنسيين يعرفون أبراجهم، والأكثر لا يعرفون الطالع {13%} ascendant. والفرنسيون الذين يلجئون إلى التنجيم هم أكثر من ضعف الذين يذهبون ـ باستمرار أو بتقطع ـ إلى الصلاة الأسبوعية بالكنيسة[٢].

وقد استمر هذا الوضع في التصاعد، ففي استطلاع للرأي قامت به المؤسسة المذكورة سنة ١٩٩٨ لسبر الآراء، تبين أن ٦٠٪ من الفرنسيين يصدقون بمضامين التنجيم، بعد أن لم تكن تتجاوز هذه النسبة ٣٠٪ عام ١٩٦٠[٣].

ولذلك لا عجب أن يكون أحد أهم رؤساء فرنسا ـ وهو فرانسوا ميتران ـ يؤمن بالتنجيم ويلجأ إلى منجمة مشهورة اسمها اليزابيث تيسييه، التي وضعت كتابا عن قصتها مع الرئيس عنوانه «تحت برج ميتران». ومما كشفت عنه أنها أصبحت اعتبارا من سنة ١٩٨٩ زائرة منتظمة لقصر الإليزيه، حيث لم يكن ميتران يتردد في الاتصال بها هاتفيا قبل اتخاذ قرارات هامة، ومن ذلك أنه استشارها في دجنبر ١٩٩٠ عشية حرب الخليج. وتضيف العرافة أن الرئيس الراحل كان يسألها في بداية كل لقاء

---

(١) Encyclopaedia Universalis, 11/693, article horoscope.

(٢) Encyclopaedia, 11/693. والمؤسسة هي Sofres، والمجلة Les bonnes soirées

(٣) عن جريدة الشرق الأوسط، ليوم ٢ أبريل ١٩٩٨.

بينهما هذا السؤال: كيف تسير الأمور بالنسبة لفرنسا، وبالنسبة لي؟ أي ماذا تفعل النجوم. وكان ميتران ـ وهو من مواليد برج العقرب ـ شغوفا بمعرفة أبراج الشخصيات السياسية الفرنسية، سواء كانت صديقة أم منافسة[١].

وكذلك الوزير الأول الحالي للهند، السيد أتال فاجبايي، والذي يسير ثاني أكبر دولة في العالم سكانا، لم ينتقل إلى منزله الرئاسي الجديد، إلا بعد أن أذن له في ذلك منجمه الخاص، وحدد له «الساعة السعيدة». وصرح السيد الوزير الأول للصحافيين بأن «على الواحد منا أن يراعي النجوم»[٢].

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فالوضع ـ بحسب كوديرك ـ أسوأ من مثيله بفرنسا. فقد تبين وفق بحث ميداني أجري سنة ١٩٤٣ أن خمسة ملايين أمريكي يتبعون في تصرفاتهم توجيهات العراف أو المنجم، وينفقون مائتي مليون دولار سنويا ليعرفوا مستقبلهم. وفي هؤلاء من كل الطبقات: الشباب، والنساء، ورجال الأعمال، والفنانون.. وتجاوز عدد المنجمين بهذا البلد ـ أمريكا ـ ثلاثين ألفا[٣]. ولا شك أن هذه الأرقام اليوم مضاعفة.

تحول التنجيم إلى صناعة وتجارة مربحتين:

يوجد اتفاق عام بين المهتمين بالتنجيم على انتشاره في كل المجتمعات وبين جميع الطبقات، وأنه إلى ذلك أصبح تجارة ناجحة تروج فيها عشرات الملايين من الدولارات.. بجمعياته واختصاصييه[٤].

وبداية تحول التنجيم إلى صناعة قائمة بذاتها هو أن للتكهن الفردي، أعني الذي يتم بزيارة المنجم في مكتبه أو مقر عمله، حدودا، لأن الساعات الملائمة لطلب الاستشارة قليلة، ولا يمكن للمنجم أن ينتهي مع الزبون في أقل من عشرة دقائق. ولذلك اكتشف المنجمون وسيلة أخرى، هي ربط العلاقة مع الزبناء عن طريق الإرسال البريدي. وهذه الطريقة نجحت مع التنجيم بالخصوص، لأنه يصعب

---

(١) عن يومية العلم، ٢ ماي ١٩٩٧. قصر الإليزيه هو مقر الرئاسة الفرنسية. وحرب الخليج هي الثانية بين قوى التحالف الدولي بزعامة أمريكا وبريطانيا وفرنسا ضد العراق في أزمة اجتياح الكويت.

(٢) انظر الصحيفة اليومية الناطقة بالإنجليزية : Saudi Gazette, Thursday, 9 April 1998

(٣) L'astrologie, p 106.

(٤) L'astrologie, p 50 الدولار يساوي حوالي عشرة دراهم مغربية أو سبع فرنكات فرنسية.

تطبيقها في الأساليب الأخرى للتكهن مثل قراءة الكف، والنظر في البلورات، واستعمال بطاقات اللعب..[١].

والذي ساعد على نجاح هذه الأساليب غير المباشرة في الاتصال، هو أنها تجنب بعض الناس الحرج أو الانزعاج الذي يشعرون به عند زيارتهم للمنجم في مكتبه، إذ يكفي أن ترسل تاريخ مولدك وساعته لتتلقى جوابا خاصا وشخصيا[٢].

ويلجأ المنجمون لجلب الزبناء إلى طريقة تجارية محكمة، فهم في البداية يرسلون إلى الناس يعرضون عليهم أن يقدموا لهم طالعا فلكيا مجانيا، ويكتفون بنفقات الإرسال. وفي العادة يجيب عدد كبير منهم بالإيجاب، لكنهم يتلقون طالعا عاما وغير تام، ويكون ذلك وسيلة لربط علاقة قد تستمر سنوات طويلة مع الزبون الذي يصبح في حاجة إلى طالع فلكي مفصل، وهنا يطالب تدريجيا بأداء مبالغ مالية هامة لقاء تقديم الاستشارة التامة ورفع كل الأسرار النجومية[٣].

وهذا أحد المنجمين المصريين ـ السيد الحسيني ـ يوضح لنا في كتابه أنه يقدم استشارات مجانية[٤]، وقد ملأ كتابه بعنوانه وهاتفه الشخصي، وهو يعرض كثيرا من الخدمات، فهو يحل مشاكل الحب والزواج.[٥]. ويقترح على القارئ تعليمه فنونا مختلفة عن طريق المراسلة: علم الفلك الروحاني، والتنويم المغناطيسي، وقراءة الكف والفنجان، والسحر[٦].. وأخيرا وجد السيد الحسيني الكلمة الجامعة، فنادى في كتابه أن استشيروني في جميع مشاكلكم[٧].

ثم إن بعض مكاتب التنجيم سرعان ما تتحول إلى شركات حقيقية، بسبب اتساع أعمالها. ولذلك فالمنجم المشهور الذي يتلقى كل يوم مئات الرسائل والمكالمات الهاتفية يشغل حوالي خمسين مستخدما. وقد كان أحد أشهر المنجمين

---

(١) Quelques sciences captivantes, p 222.

(٢) Quelques sciences captivantes, p 224.

(٣) Quelques sciences captivantes, p 224 - 225 وقارن بـ : مفتاح دار السعادة، ص ٥٤٥ إلى ٥٤٧.

(٤) السر الرباني في علوم الفلك والروحاني، للسيد الحسيني الفلكي. ص ٧٤، ٨٦.

(٥) السر الرباني، ص ٣١، ٤٢، ١٠٦، وغيرها ...

(٦) السر الرباني ، ص ٤١، ٤٢.

(٧) السر الرباني، ص ١٠٦.

بباريس يتلقى يوميا حوالي ألفا وأربعمائة رسالة، ويرسل ثلاثة آلاف وخمسمائة رسالة أو جوابا، ويصل رقم أعماله المالية ـ بالحساب الحاضر ـ إلى ملايين الدولارات سنويا. ولهذه الشركات كل ما يلزم من مجلس إدارة ومستشارين وموظفي الاستقبال ومكاتب المحاسبة وأقسام الكتابة والطبع والإرسال. وأهم شركات التنجيم مجهولة الاسم. وتتجاوز أرباحها الصافية عشرات ملايين الدولارات كل سنة[١].

وليس المنجمون فقط من يستفيد بهذا السوق الواسع، فكثير من الشركات الصناعية دخلت هذا المجال وطرحت في السوق أشياء كثيرة تحمل بصمات التنجيم وأبراجه، من ذلك: الميداليات والأوسمة، والأساور، والأقمصة، وحاملات المفاتيح، والبطاقات البريدية، واليوميات، ومنفضات السجائر، والكؤوس، وصناديق الوقيد، وأكياسة السكر الصغيرة التي تقدم بالمقاهي..[٢].

تحالف التنجيم والإعلام:

ثمة ظاهرة تميز بها عصرنا هذا، وهي وجود تحالف شبه مطلق بين التنجيم والمنجمين من جهة، وبين وسائل الإعلام، وعلى رأسها: الصحف والمجلات، والتلفاز، والمذياع.. من جهة أخرى.

وقد استفاد التنجيم كثيرا من الإعلام الذي فتح له ذراعيه جيدا.. وبذلك أصبح هو الوسيلة الأولى المسؤولة عن انتشار التنجيم، على مستوى العالم كله.

لقد كان في الولايات المتحدة ـ حوالي منتصف القرن العشرين ـ عشرون مجلة متخصصة في التنجيم وحده، إضافة إلى أكثر من ألفي صحيفة ومجلة تخصص لتنبؤات المنجمين وكلامهم في طباع الأبراج ومستقبلها حيزا خاصا وثابتا[٣].

واليوم فإن عدد القنوات التلفزية التي تقدم برامج أسبوعية أو يومية عن التنجيم ونبؤاته ونصائحه.. كثيرة، ويكفي لإدراك ذلك متابعة بعض برامج القنوات الفضائية[٤]. ولست أستبعد ـ في المستقبل القريب ـ أن تلجأ بعض القنوات العربية

---

(١) L'astrologie, p 106. Quelques sciences... p 232 - 233.

(٢) Encyclopaedia Universalis , art horoscope, 11/693.

(٣) L'astrologie, p 106.

(٤) انظر مثلا القناتين الإسبانيتين الأولى والثانية، وقناة كنال سور.

إلى خدمات المنجمين وتعرضها على جمهورها المسلم.

وقد خدمت وسائل الإعلام، خصوصا الصحافة، التنجيم بطريقتين:

الأولى ـ تخصيص عمود ثابت لتنبؤات المنجمين حول الأبراج الاثني عشر. وعلى سبيل المثال، فقد قفز عدد الصحف الفرنسية التي تحتوي على هذا العمود من ٥٠٪ ـ من مجموع اليوميات والمجلات ـ في سنة ١٩٦٠ إلى ٦٣٪، في سنتي ١٩٧٩ و١٩٨٠[١].

الثانية ـ تخصيص مساحات للإشهار ببعض المنجمين والعرافين.. ونحوهم.

وهي تستفيد مقابل ذلك مبالغ مالية هامة تصل إلى ملايين الدولارات سنويا، بالنسبة إلى بعض الصحف[٢]، إضافة إلى كسب طبقات من القراء التي تدمن على قراءة أبراجها، فترتبط باليومية أو بالمجلة لذلك.

واليوم فإن وسائل الإعلام المختلفة، التي اعتبرت الدفوعات المالية للمنجمين بمثابة هبة سماوية لا تكلفهم شيئا، غير مستعدة للتفريط في هذا المصدر على الإطلاق[٣].

وقد تتعدى العلاقة بين التنجيم والإعلام مستوى تبادل المصالح والمنافع المادية إلى قيام نوع من التحالف الواعي، ومثاله ما حكاه مارسيل بول عن فترة عمله بمجلة «أخبار الأدب»، حيث كان مشرفا على الصفحة العلمية بها، فكتب مقالا عنوانه: «هل التنجيم علم؟» لكن الإدارة لم تضعه في هذه الصفحة، بل في أخرى تحت عنوان: «آراء حرة»[٤].

ظاهرة استعصاء التنجيم على الموت:

كيف إذن لفن غير ثابت وفاسد الأسس ـ كما سنرى بعد قليل ـ ، أن يستمر كل هذا الزمن الطويل من عمر الإنسانية، بل أن يحقق فتوحات كبيرة في قلب الحضارة الغربية السائدة اليوم، ونحن نعيش بداية القرن الواحد والعشرين؟

---

(١) Ency. Universalis, 11/692, article horoscope.

(٢) Quelques sciences captivantes, p 233.

(٣) Quelques sciences, p 233, 234.

(٤) Quelques sciences captivantes, p 212.. والمجلة هي : « Nouvelles littéraires » ، أخبار أدبية.

لقد لاحظ بعض الكتاب ظاهرة استمرار حياة التنجيم إلى اليوم، فقال بيلي: «إن التنجيم هو المرض الأطول أمدا الذي أصاب العقل الإنساني»[١]. ومن الغريب فعلا أن يحتفظ التنجيم بوجوده رغم كل أخطائه عبر التاريخ[٢]، ورغم كل التقدم العلمي والفكري والتقني الذي حصله الإنسان في القرون الأخيرة... وكذلك رغم معارضة الأديان السماوية له.

نعم، هذا نبينا محمد ﷺ ـ خاتم النبيين ـ يخبرنا أن أمته لن تدع أبدا التنجيم واعتقاده والاشتغال به:

روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: أخاف على أمتي تكذيبا بالقدر، وصدقا بالنجوم[٣]. قال العزيزي: «لأنهم إذا صدقوا بتأثيراتها مع قصور نظرهم إلى الأسباب هلكوا بلا ارتياب»[٤].

وفي حديث أصح وأصرح لأبي مالك الأشعري أن الرسول الكريم قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[٥]. أي أن بعض الأمة ـ لا كلها طبعا ـ

---

(١) نقله بول في: Quelques sciences, p 193 ; note 1. والقائل Jean Bailly عضو أكاديمية العلوم الفرنسية سنة ١٧٦٣ بفضل أعماله في الفلك. ثم اشتغل بالعمل السياسي حيث كان رئيسا للبرلمان الفرنسي، ثم عمدة لباريس، إثر قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، لكنه ما لبث أن أصبح ضحية لهذه الثورة، فأعدم سنة ١٧٩٣.

(٢) L'astrologie, p 68.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» ، والخطيب في « القول في علم النجوم»، ص ١٦٢ ـ ١٦٣... كلهم عن أنس. وقال السيوطي هو حديث ضعيف. انظر الجامع الصغير، ١/ ٤٧ . وعند أحمد في المسند والطبراني في الكبير عن جابر بن سلمة إضافة : حيف السلطان، وهو خبر ضعيف بدوره، الجامع الصغير ١/ ٥٢٩.

(٤) السراج المنير شرح الجامع الصغير ، ١/ ٦٨. والعزيزي هو علي بن أحمد (١٠٧٠هـ)، محدث مصري. الأعلام، ٥/ ٦٤.

(٥) رواه مسلم في جامعه، في كتاب الجنائز، باب ١٠، التشديد في النياحة، حديث ٩٣٤، وهو لفظه هنا. والترمذي في أبواب الجنائز، باب ما جاء في كراهية النوح، وهو من رواية أبي هريرة، وفيه الرابعة: الأنواء: مطرنا بنوء كذا وكذا. وأحمد في المسند، ٢/ ٥٢٦، بنحو لفظ الترمذي. ورواه أيضا الخطيب في علم النجوم، ص ١٦٤.

سيفعل هذه الأمور الأربعة، إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك، مع كونها من أعمال الجاهلية المذمومة المحرمة. ومنها نسبة المطر إلى النجوم[١]. وأنت إذا نسبت الغيث إلى نجم ما جرك ذلك إلى أن تنسب إليه أعمالا أخرى وأشياء أخرى.

ومثل هذا الحديث في المعنى ما رواه الخطيب وغيره أن النبي ﷺ قال: ثلاث من فعال الجاهلية لا يدعهن أهل الإسلام: استناءة بالكواكب، وطعن في النسب، والنياحة على الميت[٢].

والنبي الكريم إذا أخبرنا بهذه الأمور فليس على سبيل إقرارها، بل للتحذير منها والتنبيه على خطرها.

وهذه المناعة التي يتمتع بها التنجيم عبر تاريخه الطويل تقودنا إلى طرح هذا السؤال:

لماذا عمر التنجيم إلى اليوم؟

هذا سؤال بسيط، لكنه في الواقع يثير مشكلة معقدة، فبساطة السؤال مجرد ظاهر لا ينبغي الاغترار به. فالتنجيم حي ومستمر إلى يومنا هذا، وعمره يتجاوز دون شك أربعة آلاف سنة، على أقل التقديرات. ولا يبدو أن ذلك سيتغير في المستقبل، بل على العكس من ذلك فالتنجيم اليوم ـ في البشرية ـ أرسخ وأقوى مما كان منذ قرن من الزمان.

لقد بينت للقارئ ظاهرة مناعة التنجيم واستعصاءه على الاندثار وعدم تأثره بتقلبات التاريخ ولا بتطورات العلوم والمعارف، وهذا أوان تعليل هذه الظاهرة.

ويشبه أن يكون ابن خلدون قد فكر في هذا الأمر حين تكلم عن أضرار التنجيم، ولاحظ أنه مع ذلك موجود في الإنسانية، وقال: «لا يقدح في ذلك (أي ضرر صناعة التنجيم) كون وجودها طبيعيا للبشر، بمقتضى مداركهم وعلومهم،

---

(١) فتح المجيد، ص ٣١٠، ٣١١.في جريدة العلم، ليوم ٢٧ غشت ١٩٩٧، أن السيد هشام إبراهيم السعيد أصدر كتابا عنوانه: «قراءة الطالع. الحقيقة والوهم»، تعرض فيه لظاهرة الانتشار السريع للتنجيم بين مختلف طبقات المجتمع المصري.

(٢) القول في علم النجوم، ص ١٦٣ ـ ١٦٤. ورواه أيضا البخاري في التاريخ الكبير، والطبراني في المعجم الكبير، كلاهما عن جنادة بن مالك، غير أن فيهما: استسقاء بالكواكب. انظر الجامع الصغير ٥٢٨/١.

فالخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزعهما، وإنما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما، فيتعين السعي في اكتساب الخير بأسبابه، ودفع أسباب الشر والمضار»[١]. والحق أن هذه المسألة تحتاج إلى بحث عميق ومتأن، وإلى تعليلات أقل عمومية من مثل كلام ابن خلدون. وهذا كله لا تتسع له هذه الأطروحة. لكنني أظن أن درس هذه القضية أمر مفيد جدا ليس فقط لتعليل استمرار التنجيم إلى عصرنا هذا، بل هو أيضا مفيد لفهم الإنسان. الذي يبدو أنه لم يتغير كثيرا عبر تاريخه الطويل.

وفي انتظار هذا البحث الموسع لا بأس أن أذكر بعض الأسباب التي يمكن أن تعلل ـ نسبيا ـ هذا الوضع العجيب.

الأسباب العامة:

يأتي على رأسها التحالف السابق بين التنجيم وأكثر وسائل الإعلام. ويضاف إليه وجود تواطؤ أو تسامح للدولة الحديثة وللقضاء تجاه التنجيم[٢]، الذي دخل حتى في الرواية، والقصة البوليسية، وأدب الخيال العلمي، والأغنية..[٣].

أسباب تتعلق بالأشخاص:

١ـ أول سبب وأوضحه هو رغبة الإنسان العميقة في معرفة المستقبل، خصوصا مستقبله الشخصي. ولذلك يقول كوديرك: يجد التنجيم فينا وفي أعماقنا الدعم اللازم لاستمراره، في التعطش الشديد لإدراك المستقبل، وبأي طريق كان[٤].

٢ـ وجود ما يشبه غريزة التصديق عند الإنسان، أو استعداده في الاعتقاد بأشياء ليست بالضرورة صحيحة. هذه الغريزة العامة نجدها قوية في بعض الناس[٥].

وفي هذا الإطار يمكن الاستدلال بتجربة طبيب نفساني فرنسي هو كوديرك،

---

(١) المقدمة ، ص ٤٠٧.

(٢) Quelques sciences ... p 235 - 236

(٣) Ency. Uni. Art horoscope, 11 /691.

(٤) L'astrologie, p 69. Quelques sciences captivantes, p 193.

(٥) L'astrologie, p 69. Quelques sciences , p 192 - 193

فقد نشر بجريدة يومية إعلانا ادعى فيه أنه المخلص بآخر الزمان، فتلقى إثر ذلك عددا هائلا من أجوبة الناس. ثم أرسل إلى كل واحد من هؤلاء نموذجا موحدا من النصائح والتنبؤات، بحيث تنبأ لكل من اتصل به بتنبؤ واحد لا يختلف، ونصحه بنفس النصائح التي وجهها إلى غيره. وبعدها تلقى أكثر من مائتي رسالة كلها تقول ما معناه وخلاصته: أنتم تقرأون في حياتي كأنها كتاب مفتوح... إن ما تقولونه عما مضى من حياتي وعن طبائعي الشخصية هو الحق المطلق!... [١]

٣- ومن الأسباب أيضا حب الناس لكل غريب وعجيب من ظواهر الكون والحياة. وبالنسبة إلى بعض الكتاب فهذا أهم سبب، لأن الإنسان وجد أن حياته اليومية شديدة الرتابة والوضوح، يشبه بعضها بعضا، فليلها كنهارها، واليوم كالبارحة، وكلاهما كالغد[٢]. والتنجيم بإضافته إلى الكواكب فعالية كبيرة، يستجيب لهذا الميل الإنساني.

٤- وقد ساهمت الإصابات القليلة للمنجمين في كسبهم بعض المصداقية، في حين لا يهتم أحد بأخطائهم الكثيرة، لهذا كان للإصابة الواحدة أثر في تصديق المنجم لا يكون لألف خطأ في تكذيبه[٣]، كما قال الخطيب: «من شأن الناس أن يحفظوا الصواب للعجب به والشغف، ويتناسون الخطأ، لأنه الأصل الذي يعرفونه، والأمر الذي لا ينكرونه. ومن ذا الذي يتحدث بأنه سأل المنجم فأخطأ ؟ وإنما التحدث بأنه سأله فأصاب»[٤].

وقد نبه النبي الكريم على هذا السبب بشكل واضح، ففي الحديث الذي يرويه البخاري في باب تفسير سورة سبأ عن النبي ﷺ أن الكاهن حين يتلقى الكلمة من الشيطان يخلط معها مائة كذبة، فيصدق، ويقول الناس: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا... فهم نسوا هذه الكذبات كلها، ولم يعد يعلق بأذهانهم غير الكلمة التي صدقت.

---

(١) عن : L'astrologie, p 111 والطبيب هو Louis Couderc، عمل بالمستشفيات النفسية الداخلية بإقليم باريس.

(٢) وهذا رأي بول في كتابه : Quelques sciences... p 237.

(٣) L'astrologie, p 69.

(٤) القول في علم النجوم، ص ١٩٣. وكذلك قال ابن سينا، انظر : Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p16

وبما أن تنبؤات مختلف المنجمين كثيرة وعديدة، وهم أصلا كثر، فلا يبعد أن يصيب بعضها[١].

أسباب تعود إلى المنجمين أنفسهم:

١ـ المنجمون أناس عمليون يعرفون كيف يتكيفون مع الأوضاع المختلفة، وكيف يستفيدون من الفرص السانحة. وهكذا حاولوا أن ينتفعوا بالثورة العلمية والتقنية الحديثة، وذلك على مستويين:

الأول ـ نظري، بتطوير التنجيم وتطعيمه بالمعلومات الفلكية الحديثة، وذلك لإضفاء المصداقية الضرورية عليه وإحاطته بهالة من «القدسية العلمية». وهكذا فإن مبادئ التنجيم هي نفسها كتاب تيترابيبلوس، لكن في لغة جديدة تناسب التقدم العلمي الحاصل[٢].

وأحيانا يحور بعض المنجمين كشوفات أو نظريات علمية فيقدمونها في صورة جديدة تؤكد بعض أفكار التنجيم القديم، فالثقوب السوداء ـ أو «مقابر» النجوم ـ تؤكد ـ عند بابوس ـ الفكرة القديمة التي تقول إنه بجانب كل كوكب يوجد نجم آخر أسود، تتجمع فيه العناصر اللازمة لبناء عالم جديد يعوض القديم حين يندثر[٣].

ولكن هذه الاستفادة من العلم لا تكون دائما سليمة، ومن ذلك أن بعض المنجمين حاول الاستفادة من نظرية التموجات في الفيزياء، فزعم أن الكواكب تؤثر في الإنسان بطريق موجات أو ذبذبات مختلفة ترسلها إليه. وهذا أمر لا يصح في علم الفلك[٤].

الثاني ـ تقني، باستعمال أدوات تكنولوجية حديثة، فالتطور التقني وفر الورق وسهل الطباعة[٥] والنشر والتوزيع، وجاءت مختلف وسائل الإعلام لتربط بين المنجم وملايين من الناس. لهذا تجد اليوم أن شركات التنجيم ومكاتبه تعمل كأي

---

(١) L'occultisme devant la science , p 42. وانظر كذلك: Quelques sciences captivantes, p207 - 208

(٢) L'astrologie, p 31 وقارن بـ Principes d'astrologie.. p 34 - 35

(٣) Traité élémentaire d'occultisme et d'astrologie, p 75.

(٤) L'astrologie, p 56 - 57

(٥) Quelques sciences captivantes, p 237.

شركة تجارية ناجحة وجادة، وتستعمل الهاتف والفاكس والبريد والحاسوب الآلي والإنترنيت. . .

٢ـ وهناك سبب آخر يفسر جزئيا بقاء التنجيم، وهو أن أهله يقومون بجهود حقيقية في الدفاع عنه ونشره وجذب الناس إليه. ولذلك يوجد عدد هام من الصحف والمجلات المتخصصة في التنجيم، علاوة على الصحف العامة التي تخصص لتنبؤات المنجمين حيزا يوميا أو أسبوعيا. ويكفي لإدراك ذلك أن يطلع المرء على بعض الصحف المغربية أو العربية أو الأجنبية. والقارئ المعتاد على زيارة المكتبات يعرف أن كثيرا منها يخصص للتنجيم جناحا خاصا. .

ثم إن المنجمين اليوم نظموا أنفسهم في إطار جمعيات واتحادات، منها الاتحاد العالمي للفلكيين الذي كان يرأسه المنجم العربي الراحل حميد الأزري[١].

ولهم أيضا معاهد لتدريس التنجيم وتخريج المنجمين، منها المعهد الفرنسي للتنجيم[٢]. والمعهد الأعلى للدراسات الفلكية بباريس، والمركز الوطني للتنجيم بغرازييه، شمال فرنسا.

٣ـ وسبب آخر هو مهارة كثير من المنجمين وحذرهم في التنبؤ وقدرتهم على التخلص الحسن حين لا تصيب نبوءاتهم، وهو غالب الأمر. إن المنجم الذكي ـ عند السيدة ميرتينس ـ لا يقدم أبدا نبوءاته بشكل صريح وقاطع، ولا بشكل مفصل، لأنه واع بسبب تعمقه في الدرس بأن عوامل كثيرة تنقصه، مما لا يسمح له باستنتاجات قطعية، ولذلك هو يعرف بأن التنبؤات في التنجيم تقريبية واحتمالية فقط[٣].

ولذلك تلاحظ أن في جواب المنجم دائما قدرا من الغموض، يقل أو يكثر، وهذا الغموض مهم جدا لأنه يترك للتأويل والتخلص مجالا، ويساعد على ذلك أن

---

(١) توفي الأزري منذ سنوات قليلة، وكان يشرف على صفحة الأبراج، بالمجلة الأسبوعية «الوطن العربي» التي تصدر من باريس، وذلك لسنوات طويلة. وهذا الشخص غريب الأطوار، اطلعت عليكتاب له يحاكي فيه القرآن الكريم، ويزعم أنه تلقاه عن عالم الغيب، في حال بين اليقظة والمنام.

(٢) (العلم الخاطئ في مواجهة العلوم الخفية) Dom Neroman: La fausse science devant l'occultisme, p 112.

(٣) L'occultisme du zodiaque, p 11. وكأنها هنا تقدم نصيحة غير مباشرة إلى المنجمين.

الجواب أصبح يقدم على سبيل الاحتمال لا القطع. ثم إن المنجم الخبير غالبا ما يدع للشخص نفسه، أي الراغب في معرفة طالعه الفلكي، تأويل الجواب العام، لأن السائل سيؤوله بما يناسب حالته هو، وهو بها أعلم[١].

وأكثر ما يكون جواب المنجم عاما وحذرا. إذا أرسله للصحافة، فإن مئات الآلاف من الناس يقرأون الأجوبة نفسها. وهكذا لا تجد في الجواب كلاما عن الزوج والزوجة ـ مثلا ـ ، بل عن الرفيق أو الشخص المحبوب... ونحو ذلك، وفي محيط كل واحد شخص عزيز، قريب أو صديق أو زوج[٢].

ثم ليس من النادر أن يلجأ بعض المنجمين إلى اختلاق قصة بمقتضاها يكون أحد زملائهم قد تنبأ بحدث قبل وقوعه[٣]. والتغليط شائع في أهل هذا الفن، فالسيد الحسيني ـ مثلا ـ لا يسمي التنجيم باسمه الحقيقي، بل يطلق عليه علم الفلك، ويستدل له بآيات مثل: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الرحمن. ٥ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء. ٣٣ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾. الواقعة ٧٥، ونحوها[٤]. ويقول إن الكاهن والعراف في حديث النهي عن إتيانهما ليسا من يعمل في علم الفلك ـ يعني التنجيم ـ أو فيما يسميه بعلم الروحاني، وهو السحر[٥]. ولا يخفى على هذا الكاتب الفرق بين الفلكي

---

(١) Encyclopaedia, 11/p 692, art horoscope Quelques sciences captivantes, p 225,257. وانظر: L'occultisme devant la science, p 42.

(٢) Ency. Universalis, 11/692.

(٣) Quelques sciences... , p 210, 211, 214.

(٤) السر الرباني في علوم الفلك والروحاني، ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٥) السر الرباني، ص ٣٩، ٤١. وقد ذكر الكاتب في التقديم أن المدعو المحسن محمد المهدي مدرس العلوم العربية والشرعية والقراءات بالأزهر، راجع كتابه هذا فوجده مطابقا للشريعة بعيدا عن الشعوذة والدجل.

وأنت لوفتشت في لوائح مدرسي الأزهر ربما لن تجد لهذا المهدي أثرا، أو ربما كان مدرسا بأحد المدارس الابتدائية التابعة للأزهر، يحفظ للفتيان فاتحة الكتاب، فجعله الكاتب بناء على ذلك من شيوخ الأزهر الأجلاء !انظر السر الرباني ، ص ٦ ـ ٧.

ومن جانب آخر يغلب على ظني أن اسم هذا الكاتب، السيد الحسيني، ليس باسمه الحقيقي، ومن عادة بعض المنجمين أن يطلقوا على أنفسهم اسما فخما يوحي بالأهمية والغموض، فصاحب الموسوعة التي أحلت عليها أحيانا، أعني موسوعة فنون التنبؤ، اسمه في الكتاب: الأستاذ الأكبر بيلين !فقط.

والمنجم، ولكنه تدليس مقصود.

ومن مظاهر مهارة المنجمين قدرتهم على تحويل أي كشوفات علمية قد تشكك في التنجيم إلى كشوفات لصالحه؛ فهم يعلمون الجمهور أن العلم غير ثابت، ينقض اليوم ما أثبته في الأمس، ويقرر اليوم ما كان مستحيلا قبله، فلا يستقر على حال. ولذلك سينتهي العلم ـ في العاجل أو في الآجل ـ إلى الاعتراف التام بالتنجيم. وهذا ما يفسر عندي ملاحظة كوديرك أنه يوجد تناقض غريب في هذا الموضوع، إذ يبدو أن التنجيم يزدهر أكثر في أزمنة التطورات والتقلبات العلمية الكبيرة[١]. يعني كأنها تضعف ثقة الجمهور بثبات العلم واستقرار قواعده ونتائجه.

وقد لاحظت في قراءاتي في مختلف كتب هذا الفن أن المنجمين يكيفون التنجيم مع كل وضع وحال، فله في الوثنية مسوح خاص به، وهو تحت النصرانية مختلف، ولذلك تجد أن بابوس ـ وهو يكتب في التنجيم والباطنية ـ يرى التثليث في كل شيء. أما في الإسلام، فلا أحد يقول بألوهية الكواكب، ولكنهم يقولون هي وسائط الفعل والتأثير، وقد يطلقون على الأفلاك اسم الملائكة. لذلك يقول أبو القاسم عيسى عن المنجمين: «لم يمكنهم أن يقيموا بين أرباب الملل إلا بالتستر بهم ومنافقتهم والتزيي بزيهم ظاهرا»[٢].

٤ـ والمنجم إذا أعيته الحيلة وظهر كذبه أو خطؤه، لجأ إلى الاعتذار بقصور العلم: التنجيم ـ كسائر العلوم ـ فيه نواقص وثغرات، ولذلك فهو عرضة للخطأ[٣]. أو يقول إن سبب الخطأ يكمن في نقص في المعلومات التي قدمت له لوضع الطالع الفلكي. أو أنه يحتمل أن توجد كواكب أخرى مؤثرة[٤].

---

(١) L'astrologie, p 40.

(٢) في رسالته عن التنجيم والتي نقلها ابن القيم في: مفتاح دار السعادة، ص ٤٨٦. صاحب الرسالة هو ـ فيما بدا لي ـ: عيسى بن علي بن عيسى أبو القاسم، المعروف بابن الجراح. من أهل بغداد، وبها مات سنة ٣٩١هـ. كاتب عارف بعلوم الأوائل، عمل بديوان الخليفة العباسي الطائع لله. وكان على معرفة ببعض اللغات الأجنبية. وهو قليل التأليف، مع سعة علمه. وكان قد اتهم بشيء من مذهب الفلاسفة كذا في الأعلام، للزركلي، ٥/ ٢٩٠. وابن القيم لم يذكر عنه شيئا سوى أنه كان مائلا إلى التنجيم، ثم تركه. فالغالب أنه هو.

(٣) L'astrologie , p 69. وقارن بـ: المعلم شرح مسلم، للمازري، ٣/ ١٠٦.

(٤) L'occultisme devant la science, p 42.

وقد يكون أصل الخطأ من المنجم نفسه: «قد يغفل . .المنجم اعتبار حركات كثيرة من أجرام مختلفة، لأنه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها وتفصيل أحوالها وتحصيل خواصها مع بعد حركة بعضها وقرب حركة بعضها وبطئها وسرعتها وتوسطها والتفاف صورها والتباس تقاطعها وتداخل أشكالها»[١]. فالعلم أوسع من أن يحاط به، وعلى كل حال فالمنجم «ما هو بنبي حتى يصدق في كل ما يقول»[٢].

بل ربما نسبوا الخطأ للنجوم نفسها، فهي التي تعمدت أن يخطيء المنجم، وجعلت ذلك في طالعه الفلكي![٣].

وإذا لم يكن السبب في الخطأ لا هذا ولا ذاك، فهو خطأ بشري محض لا يختص بالتنجيم، كما قال حسن الشارني حين ووجه بفشل تنبؤاته: «لا ننسى بأن المنجم هو بشر، ويخضع لضغوطات نفسية، وله حياة خاصة، وله مشاكل. . .في معظم الأحيان يقع تأويل موقع كوكب ما بطريقة أو بأخرى، ولهذا هناك الكثير من المرات التي لا يصيب المنجم في تأويله للأحداث. . .﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ يمكن أن تقع إجابات ـ لا أقول فاشلة ـ بل لا تدل على المقصود»[٤].

فالخلاصة ـ كما قال المازري ـ أن معاذير المنجمين لا تفرغ[٥]. وقد بين إمامهم بطليموس بعض أسباب الخطأ، ثم قال: هل نرد علما كاملا وراقيا، فقط لأنه يخطيء أحيانا[٦].

٥ـ أسلوب التبري: وقد يجد المنجمون أن أفضل طريقة لمحو آثار تنبؤات فاشلة هو التبري من بعض زملائهم، فتراهم يشتكون من أن المهنة دخلها الدجالون الذين يشوشون على المنجمين الحقيقيين ويشوهون حقيقتهم الصادقة، فليس

---

(١) مفتاح دار السعادة ، ص ٤٩٨.

(٢) رسالة عيسى أبي القاسم في التنجيم، ص ٤٨٨.

(٣) مفتاح دار السعادة، ص ٤٩٨، ص ٥٠٤.

(٤) جريدة العلم، ٢٠ أبريل ١٩٩٨. والشارني منجم تونسي يقدم نفسه بالمنجم الذي تنبأ بمقتل الأميرة الانكليزية ديانا في حادث سيارة بباريس يوم ٣١/ ٠٨/ ١٩٩٧.

(٥) المعلم، ٣/ ١٠٧. والمازري هو أبو عبد الله محمد بن علي التميمي (٥٣٦هـ)، نسبته إلى مازر بصقلية، عاش بإفريقية، وهو فقيه مالكي. عن الأعلام للزركلي، ٧/ ١٦٤.

(٦) Tétrabible , p 11 - 12

الخطأ في التنجيم، بل في بعض من ينسب نفسه إليه دون حق[١]. ولذلك يميز نيرومان بين التنجيم الحقيقي والعقلاني وبين التنجيم الآخر الذي سماه بالهابط أو الدنيء[٢].

٦ـ وهناك سبب آخر، ولعله أهم الأشياء التي تعلل بقاء التنجيم حيا إلى عصرنا هذا، وهو الفراغ النفسي والروحي للإنسان الحديث، وحاجته إلى عقيدة غيبية تربطه بالكون كله. والتنجيم شأن خاص، فهو يتحدث إليك وعنك.

على أن بعض الناس صادقون فعلا في اعتقادهم في التنجيم واشتغالهم به. ولا أتفق مع بول الذي لا يرى فيمن كتب عن التنجيم أو دافع عنه أو دعا إليه أو مارسه... غير جماعة من المشعوذين والدجالين. وسيأتي تعليل هذا الأمر.

الختم بقصة:

وهي معبرة عن بعض أحوال المنجمين، وذكاء بعضهم، وضيق الناس منهم أحيانا:

يحكى أن الملك لويس الحادي عشر استقدم منجما شهيرا، ونوى أن يفتك به، وكان المنجم على علم بذلك. ثم طلب الملك منه أن يثبت معرفته وعلمه بتحديد مستقبله هو، أي المنجم. فلما وقع في يده، وعرف أنه لا سبيل إلى علم ما في غد اهتدى إلى هذه الحيلة: قال المنجم للملك إنه لا يعرف مصيره الشخصي على وجه الدقة، ولكن علمه أنبأه أن مصيره مرتبط بمصير الملك، بحيث إن موت أحدهما يتبعه لا محالة موت الآخر، وخلال ساعات فقط. ارتعب الملك من هذا الجواب الذكي الذي لم يكن ينتظره، ورأى أنه من الأسلم ترك المنجم لحال سبيله، بل حرص على ضمان أمنه في سفره للعودة إلى بلده[٣].

---

(١) L'astrologie, p 69.

(٢) La fausse science devant l'occultisme, p 111 - 112 والكاتب Dom Neroman مهندس، ومنجم، وكان في الخمسينيات مديرا لمجلة أسبوعية اسمها «قدرك». Votre Destin له كتب منها: الكواكب والآلهة. النجوم والأقدار. المبشرات والنذر الزاجرة في ضوء قوانين التطور. روح النجوم. دروس أفلاطون... وأشرف على الموسوعة الكبرى المصورة للعلوم الخفية. وكتابه هذا هو رد على كتاب بول السابق: L'occultisme devant la science

(٣) عن: L'occultisme devant la science, p 41